

الموعظة التاسعة

القناعة

هدف الموعظة

تكريس مبدأ القناعة في الحياة الإنسانية.

محاوّر الموعظة

1. مفهوم القناعة
2. فضل القناعة
3. الفقر والغنى في الرؤية الإسلامية

تصدير الموعظة

الإمام الصادق عليه السلام: «من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مدّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرضَ بما قسم الله - عزّ وجلّ - اتّهم الله - تعالى - في قضائه»⁽¹⁾.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 202.

مفهوم القناعة

القناعة هي تحرّر الإنسان من عبوديّة المادّة، والاكتفاء من المال والأموال بقدر الحاجة والكفاف، وعدم الاهتمام في ما زاد عن ذلك، وهي صفة كريمة، تُعَرِّب عن عِزّة النفس، وشرف الوجدان، وكرم الأخلاق.

فضل القناعة

للقناعة فضائل ومحاسن كثيرة، تكلمت عليها الروايات والأحاديث، نذكر منها:

1. أغنى الناس

إنّ حقيقة الغنى هي عدم الحاجة إلى الناس، والاقتناع والاكتفاء برزق الله، عن الإمام الباقر عليه السلام: «من قنع بما رزقه الله، فهو من أغنى الناس»⁽¹⁾. كتب المنصور العباسي إلى الإمام الصادق عليه السلام: لَمْ لَا تَغْشَانَا كَمَا يَغْشَانَا سَائِرُ النَّاسِ؟ فَأَجَابَهُ: «لَيْسَ لَنَا مَا نَخَافُكَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا عِنْدَكَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ مَا نَرْجُوكَ لَهُ، وَلَا أَنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَهَنْتُكَ، وَلَا تَرَاهَا نِقْمَةً فَتَعَزِّيكَ بِهَا، فَمَا نَصْنَعُ عِنْدَكَ؟!»، فكتب إليه: تَصَحَّبْنَا لِنَتَّصِحَّنَا، فَأَجَابَهُ: «مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا لَا يَنْصَحْكَ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ لَا يَصْحَبْكَ»⁽²⁾.

2. رضا الله منه بالقليل من العمل

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ بِالْيُسْرِ مِنَ الْمَعَاشِ، رَضِيَ اللَّهُ مِنْهُ

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص139.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج47، ص185.

بالسير من العمل»⁽¹⁾.

3. العون على صلاح النفس

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أعون شيء على صلاح النفس القناعة»⁽²⁾.

4. يُكْتَبُ مِنَ الصَّدِيقِينَ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْضِي لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا بِمَا فِيهِ خَيْرُهُ وَصَلَاحُهُ، فَعَنِ الْإِمَامِ
الْصَادِقِ عليه السلام: «قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: عَبْدِي الْمُؤْمِنُ، لَا أَصْرِفُهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا جَعَلْتَهُ
خَيْرًا لَهُ؛ فَلْيَرْضَ بِقَضَائِي، وَلْيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَائِي، أَكْتُبْهُ -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ
الصَّدِيقِينَ عِنْدِي»⁽³⁾.

الفقر والغنى في الرؤية الإسلامية

1. موقف الإسلام من الفقر

حدّد الإسلام أسلوباً تربوياً رقيقاً في التعامل النفسي والاجتماعي مع قضية
الفقر، يمكن إيجازه بما يأتي:

أ. أن لا يطمح المرء إلى من هو فوقه ممّن رزقه الله المال والثروة، فعن رسول
الله صلّى الله عليه وآله: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم؛ فإنه أجدر أن
تزدروا نعمة الله»⁽⁴⁾.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص138.

(2) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص112.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص61.

(4) التيسابوري، الشيخ محمد بن الفتال، روضة الواعظين، تقديم السيّد محمد مهدي السيّد حسن
الخرسان، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص454.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله - عز وجل - لنبيه عليه السلام: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَدُهُمْ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁽²⁾، فإن دخلك من ذلك شيء، فاذكر عيش رسول الله عليه السلام، فإنما كان قوته الشعير، وحلواه التمر، ووقوده السعف إذا وجده»⁽³⁾.

ب. الفقر ليس منقصةً، وليس الغنى مقربةً من الله، قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾⁽⁴⁾، بل إن الفقر قد يكون مظهر الرحمة الإلهية لعبده المؤمن، روي عن رسول الله عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً في الدنيا يوجعه» قالوا: يا رسول الله، وكيف يوجعه؟ قال: «في موضع الطعام الرخيص والخير الكثير، ولي الله لا يجد طعاماً يملأ بطنه»⁽⁵⁾ وعنه عليه السلام أيضاً: «أبواب الجنة مفتحة على الفقراء»⁽⁶⁾.

ج. عدم الطمع بما في أيدي الناس؛ فإن الطمع منقصةٌ للإنسان ومُخرِجٌ له عن حد الإيمان، فقد سأل بعضهم الإمام الصادق عليه السلام: ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟ قال: «الورع»، والذي يخرج منه؟ قال: «الطمع»⁽⁷⁾، وعن الإمام

(1) سورة التوبة، الآية 85.

(2) سورة طه، الآية 131.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 137.

(4) سورة سبأ، الآية 37.

(5) التيسابوري، روضة الواعظين، مصدر سابق، ص 454.

(6) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 69، ص 46.

(7) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 320.

السَّجَّاد عليه السلام: «رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي قِطْعِ الطَّمَعِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»⁽¹⁾.
 د. الفقر قد يكون من عوامل التقرب إلى الله؛ فالإنسان يلجأ إلى الله -عزَّ وجلَّ- ويشتدُّ تعلُّقه به في الأزمات والملمات، إذ لا كاشف للضرِّ والسوء إلَّا هو، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾⁽²⁾، ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾⁽³⁾.

2. موقف الإسلام من الغنى

إنَّ الموقف الإسلاميَّ من الغنى، ليس الذمُّ والمنع، بل هو موقف تأييد ومدح، بشرط أن الالتزام بأهداف الشريعة الإسلامية وضوابطها وغاياتها، وذلك من خلال:

1. عدم اكتساب المال من الطرق المحرَّمة والمنهيَّ عنها، كالربا وبيع الأعيان النجسة... والتدقيق في شرعية السبل والموارد التي يقصدها الإنسان لجني المال.
 2. عدم صرف الأموال وإنفاقها في الوجهة المحرَّمة، كإعانة الظالمين وإنشاء مراكز الفساد واللهو...
 3. إخراج الحقوق الشرعية منها، من خمسٍ وزكاة...
 4. الإنفاق في وجوه الخير والصالح، كالصدقة والإعانة والتكافل، وهي من الأمور المستحبة التي حثَّت الروايات عليها بشكل كبير.
- أمَّا ما ورد في ذم الغنى من الروايات، فهو ناظر إلى الحالة الغالبة لذوي الثروات

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 320.

(2) سورة يونس، الآية 12.

(3) سورة الروم، الآية 32.

في الابتعاد عن الشريعة وأهدافها وضوابطها، والتي تظهر في:
أ. الطغيان والتجبر، قال -تعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاغِي﴾ ١ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْيَزَ ٢
﴿١﴾ ٣.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من استدل مؤمناً واستحققره لقلّة ذات يده ولفقره،
شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٢).

ب. خلود النفس إلى شهوات الدنيا وملذاتها؛ لذا كان الذمّ والوعيد لهؤلاء في
قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ آلَهُمْ وَالْفَيْضَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣١ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ
هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا نَفْسَكُمْ فُدُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٢﴾ (٣).

من طريف ما أثر عن القناعة

ورد في كشكول البهائي: أرسل عثمان بن عفان مع عبد له كيساً من الدراهم
إلى أبي ذرٍّ -رحمه الله-، وقال له: إن قبل هذا فأنت حرّ، فأتى الغلام بالكيس إلى
أبي ذرٍّ، وألح عليه في قبوله، فلم يقبل، فقال له: اقبله، فإن فيه عتقي، فقال: نعم،
ولكن فيه رقي (٤).

وكان ديوجانس الكلبي من أساطين حكماء اليونان، وكان متقشفاً زاهداً، لا يقنى

(١) سورة العلق، الآيتان 6 و7.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص353.

(٣) سورة التوبة، الآيتان 34 و35.

(٤) القمي، الشيخ عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، دار الأسوة، إيران - قم، 1414هـ،
ط1، ج3، ص198.

شيئاً، ولا يأوي إلى منزل، دعاه الإسكندر إلى مجلسه، فقال للرسول: قل له: إنَّ الذي منعك من المسير إلينا، هو الذي منعنا من المسير إليك؛ منعك استغناؤك عنا بسلطانك، ومنعني استغنائي عنك بقناعتي⁽¹⁾.

(1) الشيخ عباس القمّي، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، مصدر سابق، ج 7، ص 375.